وجيء لهم باسم الإشارة لتميزهم تمييزا لا يلتبس معه غيرهم بهم مثل قوله (أولئك على هدى من ربهم) مع ما يفيده اسم الإشارة من أن استحقاقهم لملازمة النار ناشئ عن الكفر والتكذيب بآيات ا وهذا وعيد .

وجملة وبئس المصير اعتراض تذييلي لزيادة تهويل الوعيد .

(ما أصاب من مصيبة إلا بأذن ا ومن يؤمن با يهد قلبه وا بكل شيء عليم [11])

استئناف انتقل إليه بعد أن توعد المشركون بما يحصل لهم من التغابن يوم يجمع ا الناس يوم الحساب . ويشبه أن يكون استئنافا بيانيا لأن تهديد المشركين بيوم الحساب يثير في نفوس المؤمنين التساؤل عن الانتصاف من المشركين في الدنيا على ما يلقاه المسلمون من إضرارهم بمكة فإنهم لم يكفوا عن أذى المسلمين وإصابتهم في أبدانهم وأموالهم والفتنة بينهم وبين أزواجهم وأبنائهم .

فالمراد : المصائب التي أصابت المسلمين من معاملة المشركين فأنبأهم ا بما يسليهم عن ذلك بأن ا عالم بما ينالهم . وقال القرطبي " قيل سبب نزولها أن الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم ا عن المصائب " .

واختصت المصيبة في استعمال اللغة بما يلحق الإنسان من شر وضر وإن كان أصل فعلها يقال كما يصيب الإنسان مطلقا ولكن غلب إطلاق فعل أصاب على لحاق السوء وقد قيل في قوله (ما أصابك من حسنة فمن ا وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أن إسناد الإصابة إلى الحسنة من قبيل المشاكلة .

وتأنيث المصيبة لتأويلها بالحادثة وتقدم عند قوله تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها) في سورة آل عمران .

والإذن A E وإزالة البيت إلى الدخول إباحة على وأطلق يفعله لمن الفعل إجازة أصله : الحجاب لأنه مشتق من أذن له إذا سمع كلامه . وهو هنا مستعار لتكوين أسباب الحوادث . وهي الأسباب التي تفضي في نظام العادة إلى وقوع واقعات وهي من آثار صنع ا في نظام هذا العالم من ربط المسببات بأسبابها مع علمه بما تفضي إليه تلك الأسباب فلما كان هو الذي أوجد الأسباب وأسباب أسبابها وكان قد جعل ذلك كله أصولا وفروعا بعلمه وحكمته أطلق على ذلك التقدير والتكوين لفظ الإذن والمشابهة ظاهرة وهذا في معنى قوله (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) .

ومقتضى هذه الاستعارة تقريب حقيقة التقلبات الدنيوية إلى عقول المسلمين باختصار

العبارة لضيق المقام عن الإطناب في بيان العلل والأسباب ولأن أكثر ذلك لا تبلغ إليه عقول الأمة بسهولة . والقصد من هذا تعليم المسلمين الصبر على ما يغلبهم من مصائب الحوادث لكيلا تفل عزائمهم ولا يهنوا ولا يلهيهم الحزن عن مهمات أمورهم وتدبير شؤونهم كما قال في سورة الحديد (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) .

ولذلك أعقبه هنا بقوله (ومن يؤمن باﷲ يهد قلبه) أي يهد قلبه عندما تصيبه مصيبة فحذف هذا المتعلق لظهوره من السياق قال (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

والمعنى : أن المؤمن مرتاض بالأخلاق الإسلامية متبع لوصايا اﷲ تعالى فهو مجاف لفساد الأخلاق من الجزع والهلع يتلقى ما يصيبه من مصيبة بالصبر والتفكر في أن الحياة لا تخلوا من عوارض مؤلمة أو مكدرة . قال تعلى (وبشر الصابرين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا ﷲ وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) أي أصحاب الهدى الكامل لأنه هدى متلقى من التعاليم الإلهية الحق المعصومة من الخطل كقوله هنا (يهد قلبه) .

وهذا الخبر في قوله (ومن يؤمن باﷲ يهد قلبه) إيماء إلى الأمر بالثبات والصبر عند حلول المصائب لأنه يلزم من هدى اﷲ قلب المؤمن عند المصيبة ترغيب المؤمنين في الثبات والتصبر عند حلو المصائب فلذلك ذيل بجملة (واﷲ بكل شيء عليم) فهو تذييل للجملة التي قبلها وارد على مراعاة جميع ما تضمنته من أن المصائب بإذن اﷲ ومن أن اﷲ يهدي قلوب المؤمنين للثبات عند حلول المصائب ومن الأمر بالثبات والصبر عند المصائب أي يعلم جميع ذلك .

وفيه كناية عن مجازاة الصابرين بالثواب لأن فائدة علم اﷲ التي تهم الناس هو التخلق ورجاء الثواب ورفع الدرجات